﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الإسراء: 107]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

أن الحجج بعدما أصبحت قائمة على الكافرين، أصبح إيمانهم بالقرآن وعدمه سواء

لَمّا صَرّفَ اللّهُ في الآيات السّابقة للكافرين من كلِّ مَثَلٍ فأبوا إلّا كفورًا، وطالتِ الدَّلائل وزالتِ الشُّبه، وعُلِمَ أنَّ اللّهَ مع الذين اتَّقَوا، وأنَّ الحَظَّ لمن أقبل، والخَيْبَةَ لمن أدْبر، أمَرَ نَبيَّهُ ﷺ أنْ يقولَ مُنبِّهًا لهم على ذلك مُبَكِّتًا لهم بتقاعسهم عنه وعنادهم فيه: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ أي بالقرآن ﴿أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾؛ فالإيمان به غيرُ مُحتاجٍ إليكم، ولا موقوف عليكم؛ فإيمانُكم وعدَمُه عندَ الله سواءٌ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَخِرُّونَ﴾: أصلُ (خرّ) واحِدٌ، وهو اضْطِرابٌ وسُقوطٌ مَعَ صَوْتٍ[2]، فالخَريرُ: صَوت الماء والرّيح والعِقاب وغير ذلك ممّا يَسقط من علوٍّ[3]، وخَرَّ للّه ساجِدًا يَخِرُّ خُرورًا، أي: سَقَطَ سقوطًا يُسمَعُ منه خَريرٌ[4]، والمُراد بالخُرور في الآية: الهويُّ وسُقوطُ الجِسْمِ مِنْ عُلوٍّ إلى الأَرْض.

2) ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾: أصلُ (ذقن) كَلِمَةٌ واحِدَةٌ إلَيْها يَرْجِعُ سائِرُ ما يُشْتَقُّ مِنَ الباب، فالذَّقَنُ ذَقَنُ الإنْسانِ وغَيْرِه: مَكانُ اجْتِماعِ اللَّحْيَيْنِ أَسْفَلَ الوجْهِ[5]، واللَّحْيانِ هُما العَظْمانِ اللَّذانِ تَنْبُتُ عَلَيْهِما الأَسْنانُ السُّفْلَى، يُقال: ذَقَنَ الرَّجُلُ، يَذْقَنُ، ذَقْنًا، أيْ: وضَعَ يَدَهُ تَحْتَ ذِقْنِه وذَقَنِه، ويُطْلَقُ بِمعنى الشَّعْرِ الذي يَنْبُتُ أَسْفَلَ الوجْهِ، وجَمعُه:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 533، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 232.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خرّ).
(3) ابن سيده، المحكم، والراغب، المفردات: (خرّ).
(4) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (خرّ).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ذقن).

أَذْقانٌ[1]، والمُراد بالأَذْقانِ في الآيةِ: جَمعُ الذَّقَنِ - بِفَتْحِ الذّالِ وفَتْحِ القافِ - مُجْتَمَعُ اللَّحْيَيْنِ.

3) ﴿سُجَّدًا﴾ أصلُ (سجد) واحِدٌ مُطَّرِدٌ يَدُلُّ على تَطامُنٍ وذُلٍّ، يُقالُ سَجَدَ، إذا تَطامَنَ، وكُلُّ ما ذَلَّ فَقَدْ سَجَدَ، وأَسْجَدَ الرَّجلُ إذا طَأْطَأ رأسَهُ وانحَنى، وسَجَدَ إذا وضعَ جَبهتَهَ بالأَرْضِ[2]، وجُعل ذلك عبارة عن التَّذلُّل لله وعبادته، وهو عامٌّ في الإنسان، والحيوانات، والجمادات، والمَساجِدُ: السُّجوْدُ ومَواضِعُه من الجَسَدِ والأَرْضِ، الواحِدُ: مَسْجَدٌ[3]، والإسجاد: إدامة النَّظر مَعَ سُكون[4]، والمقصود بالسُّجود في الآية: وضْعُ الجَبْهَةِ على الأَرْضِ إرادَةَ التَّعْظيمِ والخُضوعِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

هـذا الـقـرآن لا يَقْدِرُ قدرَه، ولا يَـعْـرِفُ فضلَه، إلّا مـن انتفع بعقلِه، وأحسن الاستماع إليه

أَمَرَ الله تعالى نبيَّه ﷺ أن يُخاطب المُشركين بما يدلُّ على هوان شأنهم، وعلى عدم المُبالاة بهم، فجاء التعبير القرآني يأمر النبي ﷺ أن قُلْ يا مُحَمَّدُ ﷺ للمُكَذِّبينَ المُعرِضينَ عن القُرآنِ: آمِنوا بالقُرآنِ أو لا تُؤمِنوا به؛ فسَواءٌ آمَنتُم به أم كَفَرتُم، فهو حقٌّ في نَفسِه، ولن تَنفَعوا اللّهَ إن آمَنْتُم، ولن تَضُرّوه إن كَفَرْتُم، وإنَّما ضَرَرُ ذلك واقِعٌ عليكم، وإنْ تَكفُروا بالقُرآنِ، فإنَّ علماء أهل الكتاب الَّذين آتاهم الله العِلْم قبل نزول هذا القرآن، وميَّزوا بين الحقِّ والباطل، كانوا إذا تُلي عليهم هذا القرآن، - كأمثال عبد الله بن سلام وأصحابه يسقطون على وجوههم ساجدين لله تعالى شُكْرًا له على إنجاز وعده، بإرسالك - أيُّها الرَّسول الكريم - وبإنزال القرآن عليك، كما وعَد بذلك سُبحانه في كتبه السّابقة[5].

(1) الخليل، العين، والأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (ذقن).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (سجد).
(3) ابن عبّاد، المُحيط في اللُّغة، وابن سيده، المحكم: (سجد).
(4) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللُّغة، وابن سيده، المُحكم: (سجد).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 15/ 119، والقُرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 340، والسَّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 468، وطنطاوي، التَّفسير الوسيط: 8/ 450.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصل جُملة ﴿قُلْ﴾ عمّا قبلها:

خِـطـابٌ تلقينٍ للنَّبيِّ بالقولِ للمُشركين بأنَّ إيمانهم وعدمه عند الله سواء

فَصَلَ النَّظم الكريمُ جُملة: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ﴾ عمّا قبلها ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ ولم يربط بينهما؛ لِما بَيْنَ الجُملتين من كمالِ الانقطاع؛ لاختلافهما خبرًا وإنشاءً، فالجُملةُ الأولى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ﴾ خبريّةٌ، والثّانية: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ﴾ إنشائيَّةٌ، ولهذا تعيَّن الفصل بينهما.

وقد جاءتْ جُملة ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ﴾ استئنافَ خطابٍ للنَّبيّ ﷺ؛ ليُلَقِّنَهُ بما يقوله للمُشركين الذين لم يؤمنوا بأنَّ القُرآنَ منزَلٌ من عند اللهِ بعد أنْ أوضحَ لهم الدَّلائلَ وأقامَ عليهم الحُجَجَ على أنَّ مِثْلَ ذلك لا يكون إلّا مُنزلًا من عند الله، فأمره بالقول لهم ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ تسويةً بين إيمانهم وعدمه عند الله تعالى[1].

فائدة الأمر بـ﴿قُلْ﴾، والعُدول عن قوله (فآمنوا به):

خـطـابٌ يُظهرُ مقامَ الرَّسول ﷺ ويسلّي قلبه ويُظهر أهميَّة القول

عبَّر البيانُ الإلهيُّ بفعل الأمر ﴿قُلْ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾، وعَدَل عن قوله (فآمنوا به)، لإفادة أنَّ هذا الأمر من عند الله سُبحانه، وأنَّ النَّبي ﷺ مُبلِّغٌ ورسولٌ أمينٌ، لا يُغيِّر ولا يُبدِّل حَرْفًا من عنده، ولبيان علوِّ مقام الرِّسالة، ومقامِ النَّبي ﷺ، وتسليةً لقلبه الشَّريف ﷺ بجعله الوحيد المكلَّف بإبلاغهم وإنذارهم.

وفيه كذلك دلالةٌ على الاهتمام بالمَقول"فإنَّ أصلَ الأمرِ بالقولِ في مقامِ التَّصدّي للتَّبليغ دالٌّ على الاهتمام"[2].

بلاغة الأمر في قوله ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾:

تـفـويـضٌ بالاختيار بعد البيان، مشوبٌ بالتَّهديد والتَّبكيت والتَّحقير

قوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ﴾ أمرٌ غايته تفويضٌ بالاختيار بعد البيانِ مشوبٌ بالتَّهديدِ والتَّسوية، يتضمَّنُ الإعراضَ عنهم، واحتقارَهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 232.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 192.

والازدِراءَ بهم، وعدَمَ الاكتراثِ بهم وبإيمانِهم أو بامتناعِهم عنه، وأنَّهم إنْ لم يَدْخُلوا في الإيمانِ ولم يُصدِّقوا بالقُرآنِ، وهُم أهلُ جاهليَّةٍ وشِرْكٍ، فإنَّ خيرًا منهم وأفضَلَ - وهم العُلماءُ الَّذين قَرأوا الكُتبَ، وعَلِموا ما الوحيُ وما الشَّرائعُ - قد آمَنوا به وصَدَّقوه، وفي ضمن الأمر ضَرْبٌ من التَّوعُّدِ، والمعنى: أنَّكم لستُم بحُجَّةٍ، فسواءٌ علينا أآمنْتُم أم كفرْتُم، وإنَّما ضَررُ ذلك على أنفُسِكم، وإنَّما الحُجَّةُ أهلُ العلْمِ، وقيل: الآية مُخلَصةٌ للوعيدِ دونَ التَّحقيرِ، والمعنى: فسَتَرون ما تُجازونَ به[1].

دلالة ﴿أَوْ﴾، ودلالة ﴿لَا﴾ في ﴿لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾، ووجهُ الجزم:

الـدَّلالـة على الـتَّـسـويـة المُكنَّى بها عن الإعـراض عنهم واحتقارهم وقِلَّة المُبالاة بهم

اختلفَ المُفسرون في معنى ﴿أَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ على رأيين:

الأوَّل: أنّها للتَّخيير المَشوبِ بالتَّهديدِ والتَّسويةِ والتَّبكيتِ لهم.

الثّاني: ليس المقصود منها في الآية التَّخيير بين الإيمان أو عدمه، وإنَّما المُراد به التَّسوية، أي إيمانكم وعَدَمُهُ سواء، وهذا مِنَ اللهِ ﷻ على وجهِ التَّبكيتِ لهم والتَّهديدِ[2]، وقال ابن عطيَّة: "تحقيرٌ للكُفّارِ، وفي ضِمنِه ضَربٌ مِن التوعُّدِ"[3].

ولذلك جُزمتْ ﴿لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ بالعطف على المجزوم؛ لأنَّ حرف ﴿لَا﴾ حرفُ نفي، وليس حرفَ نهي؛ إذ لا يقعُ مع الأمر المُراد به التسوية إلّا كذلك، وهو كنايةٌ عن الإعراضِ عنهم، واحتقارهم وقلَّة المُبالاة بهم، ويندمجُ فيه مع ذلك تسليةُ الرَّسول ﷺ[4].

(1) الزمخشري، الكشاف: 2/ 699، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 124، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 232.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 340.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 491.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 232.

سِرُّ فصل جملة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ عمّا قبلها:

فَصَلَ القرآنُ جملة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾ عن الجملةِ التي قبلها ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُواْۚ﴾ ولم يربطهما بعاطف؛ لِما بَيْنَ الجُملتين من كمالِ اتِّصال؛ إذ إنَّ الجملةَ الثّانية جاءتْ إمّا تعليلًا لقوله: ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُواْۚ﴾، والمَعنى: إنْ لم تُؤْمِنوا به لقد آمَنَ به مَن هو خيرٌ منكم، "أي سيّان إيمانكم وعدم إيمانكم بالقرآن، فإنَّكم إنْ كفرتم فقد وُجد مَنْ يؤمنُ به، ويُدركُ منزلته"[1] وفي هذا احتقارٌ لهم وازدراءٌ لشأنهم.

تعليلٌ فيه تسليةٌ لقلبه الشّريف وازدراءٌ لشأنِ الكافرين وعدمِ المُبالاة بهم

أو تعليلًا لقوله ﴿قُلۡ﴾ على سبيلِ التَّسليةِ لرسولِ اللّهِ ﷺ، وتَطييبِ نفْسِه، كأنَّه قيل: (تسَلَّ عن إيمانِ الجهلةِ بإيمانِ العُلماءِ)[2]، أي إنْ لم يؤمنْ به هؤلاء الجهّالُ الذين لا علمَ عندهم، ولا معرفة بكتب اللّه، ولا بأنبيائه، فلا تبالِ بذلك، فقد آمن به أهلُ العلم، وخشعوا له، وخضعوا عند تلاوته عليهم خضوعًا ظهرَ أثره البالغُ بكونهم يخرّون على أذقانهم سجّدًا للّه[3].

أو لكليهما؛ شأنُ العللِ التي ترِدُ بعد جملٍ مُتعدِّدة، ولذلك فُصِلَتْ[4].

نكتة التَّعبير باسم الموصول بدلًا من المُحَلَّى بأل (العُلماء):

عُرّف المُسندُ إليه بالاسم الموصول في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾ بدلًا من المحلّى بأل (العلماء)؛ للإيماءِ إلى وجهِ استحقاقهم للثَّناء من اللّه سُبحانه، وهو العلمُ الذي أوتوه، والذي كان سببَ إيمانهم وخضوعهم، وخشيتهم عند سماع كلام اللّه تعالى، كما أنَّه يُشير إلى أنَّ أدنى إيتاءٍ للعلم باللّه ينطبقُ عليه حُكم الآية، وليس بالضَّرورة أنْ يكون راسخًا في العلم.

العلمُ سببُ خشيةِ اللهِ وشُكرِه على إنجازِ وعده بإرسال الرسول والرسالة

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4476.
(2) الزَّمخشري، الكشَّاف: 2/ 699، والبيضاوي: أنوار التَّنزيل: 3/ 269، وأبو حيَّان، البحر المحيط: 7/ 124، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 5/ 199.
(3) محمَّد الأمين الهرري، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 16/ 254.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 233.

فائدة إبهام الاسم الموصول:

قَصْدُ تشريفِهم بالوصفِ الكاملِ والإشـــارةِ إلى كثرتهم

تكمن فائدةُ إبهامِ الاسم الموصول في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾: في عدَّة أمور:

الأوَّل: تشريفهم بالوصفِ الكاملِ وهو اتِّصافهم بالعلم والعمل به.

الثّاني: الإشارةُ إلى عمومِ من أوتي العلم من قَبْلِ النَّبيّ ﷺ، وخاصةً أنّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من ألفاظِ العموم، ولذا وردَ في بيانهم ثلاثة أقوال: أنّهم ناس من أهل الكتاب، أو أنّهم الأنبياءُ عليهم السلام، أو أنّهم طلابُ الدّين، كأبي ذرٍ، وسلمان، وورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو، قاله الواحدي[1].

ولا مانعَ من التَّوسُّع في معنى أولي العلم بأنّهم أولو الإدراك والتَّأمل والعلم بكلّ ما يتعلّق بالله تعالى من أهل الكتاب، وأهلِ الحكمة والمعرفة الذين أوتوا المعرفة، فإنَّ هؤلاء قد يكونون من أوساطٍ لا إيمانَ فيها، كإيمان مؤمن آل فرعون، وكإيمانِ السَّحرة، وكإيمان الأوس والخزرج[2].

الثّالث: لفتُ الانتباهِ في الإبهام؛ ليقعَ بعده التَّفصيل فيتمكَّن معناه من الذِّهن.

نكتةُ جمعِ الاسم الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾:

إشـــارة إلى أن الـفـريـقَ الـذي يـجـتـمـعُ على الـخـضـوعِ لله والإيمان برسوله هم أهلُ الإدراك والتَّأمّل والعلم

في إيرادِ الاسم الموصول جمعًا ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾؛ إشارةٌ إلى أنَّهم جماعةٌ وفريقٌ آتاهم الله العلمَ قبل نزولِ هذا القرآن، وميَّزوا بَيْنَ الحَقِّ والباطل، ولَمّا سمعوا كتاب الله اتَّقَوا على الخضوعِ له، والشُّكر لله على إنجاز وعده بإرسالِ النَّبيّ ﷺ، وإنزاله القرآن العظيم، وأنَّهم مع سُجودهم يتمَّلك نفوسَهم التَّأثُّرُ به، وكُلَّما تُلِيَ عليهم القُرآن ازدادوا علمًا، وكُلَّما ازدادوا عِلْمًا

(1) ابن الجوزي، زاد المسير: 3/ 59.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4476.

ازدادوا إيمانًا، وخشوعهم يستمرُّ في نموٍّ، وفي اجتماعهم على الحقِّ تزيينًا له وتثبيتًا عليه في نفوسهم.

دلالة استعمال صيغة المبني للمفعول ﴿أُوتُواْ﴾:

بَنى البيانُ القرآنيُّ الفعل ﴿أُوتُواْ﴾ للمفعول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾؛ لِأَمرين:

من لم يحمله علمُه على الإيمانِ بالقرآن فلا خير في علمه

الأول: للتركيز على حَدَثِ إتيانِ العلم لا على شخص مَن أوتي هذا العلم، وفي هذا دلالةٌ على أنَّ العِلْمَ الرَّبانيّ، يكون دائمًا حاثًّا على الإيمان بهذا القرآن.

الثّاني: للتنبيه على أنَّ من كان يعلمُ ولم يحمله عِلْمُهُ على الإيمان بهذا الكتاب فعلمه كأنّه لا شيء، ومُدَّعيهِ أجهلُ الجهلة[1]، إذ لا شيء أَبْيَنَ من حقيقته وذلك لمُصادقته لكتبِ الأنبياء الذين ثَبَتَتْ رسالاتهم ومضتْ عليها الدُّهور، واطمأنّتْ بها النُّفوس، ولزيادته عليها بما أودع الله فيه من الإعجاز والحكم.

سرُّ تخصيص ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ بالذِّكر:

العلمُ الحقيقيُّ هو الدّالُّ على الإيمانِ، وإلّا فمُدَّعيهِ أجهلُ الجهلةِ

خَصَّ البيانُ القرآنيُّ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ بالذِّكر مدحًا لهم، وللعلمِ الذي كان سببًا في إيمانهم بالنَّبيِّ ﷺ، وبالقرآن الذي أُنزل عليه، وإشارةً إلى أنَّ العِلْمَ الرَّبانيَّ حاثٌّ على الإيمان بهذا القرآن[2]، وتعريضًا بأنَّ الذين أعرضوا عن الإيمانِ بالقرآنِ جهلةٌ وأهلُ جاهليَّة[3].

معنى ﴿مِن﴾ وفائدة القيد بالجارِّ والمجرور في قوله ﴿مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾:

شرفٌ اختصَّ اللهُ به أناسًا كانوا أهلَ علمٍ قبلَ نزولِ القرآن، فحملهم علمهم على الإيمانِ به

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾ ابتدائيَّةٌ، والمُرادُ أنَّ من اتّصف بهذا الوصف ولو من زمنٍ يسيرٍ قبل بعثته ﷺ، أو قبل نزولِ القرآن نفعه هذا الوصف[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 533.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 533.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 233.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 533.

وفي الجارِّ والمجرور تقييدٌ لمن اتَّصف بالأوصاف الواردة بالآية بأنَّه ممَّن كان من أهل العلم قبل بعثةِ النَّبي ﷺ، أو قبل نزولِ القرآن كورقةَ بنِ نوفلٍ أو عبد الله بن سلام أو سلمان الفارسي أو النَّجاشي أو غيرهم، وليس ممّن أوتوا العلم بعد بعثته ﷺ.

وفائدة هذا التَّقييد الثَّناءُ على أناسٍ كانوا أهلَ علمٍ قبل نزول القرآن، وحملهم علمهم على الإيمان به، فهو شرفٌ اخْتُصّوا به لإنصافهم وعدم عنادهم، وبالمُقابل فيه تعريضٌ بالمُشركين وبكلِّ من أوتيَ علمًا، ولم يحمله علمه على الإيمان بالله وبقرآنه وبرسوله عنادًا وكِبْرًا.

عود الضَّمير في قوله ﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾:

في التعبير بالضمير إثراءٌ للمعنى واختصارٌ في الكلام

في هاء الكناية في ﴿قَبْلِهِۦٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ قولان[1]:

أحدهما: أنَّها ترجعُ إلى القرآن، والكلامُ على حذف مُضافٍ معلومٍ من المقامِ معهودِ الحذفِ، والمعنى: إنَّ الذين أوتوا العلمَ من قبل نزوله[2].

والثّاني: ترجعُ إلى رسول الله ﷺ، قاله ابن زيد، والمعنى: أي من قبل البعث المحمدي[3].

دلالة جملة ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾:

سرعةُ السُّجودِ عند سماعِ القرآن عادةٌ ثابتةٌ لمن علمَ وانتفعَ بعلمه

دلَّت الجُملةُ الشَّرطيَّةُ ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ على اتِّصال تعلُّق حصول الجواب بحصول الشَّرط وتلازمهما[4]، أي تعلَّقِ حصول خرورهم سُجَّدًا بحصولِ سمعاهم لتلاوة القرآن وتلازمِ الأمرين، بما يَدُلُّ على فضلهم، وحسن حالهم، وأنَّهم قد

(1) ابن الجوزي، زاد المسير: 3/ 59.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 340، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 233.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4476.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 228.

قَدَروا القرآنَ قدْرَهُ، وعرفوا فضْلَه، ولا يقومُ بذلك إلّا من انتفعَ بعلمه وعقله، وأحسنَ الاستماع إلى القرآن، والتَّلقّي عنه، ويُشير كذلك إلى أنَّ أصحابَ العقل وأهل العلم والمعرفة هم أقربُ الناسِ نسبًا إلى هذا القرآن، وأكثرُهم معرفةً به، وأصدقُهم نظرًا إليه، وعرفانًا بقدره وفضله[1].

وفي التَّعبير بـ﴿إِذَا﴾ - التي من شرطها أنْ يكون التَّعليقُ بها على أمرٍ معلومٍ مقطوعٍ بوقوعه دون (إن) التي لا يكون التعليق بها إلا في مُبهمٍ مشكوكٍ فيه[2] - إشارةٌ إلى استحقاقهم لهذا الثَّناء؛ لأنَّها تَدُلُّ على أنَّ سرعة سجودهم لله وخضوعهم له عند سماع القرآن الكريم أمرٌ محقَّقٌ منهم، لا أنَّه أمرٌ مشكوكٌ فيه أو نادرٌ.

إيثار استعمال صيغة المبنيّ للمفعول ﴿يُتْلَىٰ﴾:

عبَّر البيانُ الإلهيُّ بصيغةِ المبني للمفعولِ ﴿يُتْلَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾؛ لأمرين:

التركيزُ على حَدَثِ التِّلاوة وعلى الآيات المتلوة دليلٌ على تعلُّقِ قلوبهم بالقرآن

الأوَّل: إفادةُ العموم؛ لأنَّ الفعلَ المبنيَّ للمفعول في سياقِ الشَّرط يُفيدُ العموم، قال البقاعي: "من أيّ تالٍ كان في وقت من الأوقات"[3]، فلو أتى بالمبني للمعلوم لقيَّده بتالٍ واحدٍ فقط، وهو رسول الله ﷺ.

الثّاني: التركيزُ والانتباهُ على الحدثِ ذاته، وهو المفعول (تلاوة الآيات)، وحصرُ الوعي فيه، فلا يتوزَّع في غيره؛ لعدمِ تَعَلُّق غرضِ الآياتِ بشخصِ التّالي، وإنَّما التعلّق بأنَّ المتلوَّ في الحقيقة من أيِّ تالٍ كان حاثًّا على الإيمانِ بهذا القرآن.

إيثار استخدام لفظ ﴿يَخِرُّونَ﴾ بدل (يسجدون) و(يسقطون):

عبّر البيانُ القرآنيُّ بقوله: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾، ولم يقل:

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 8/ 570.
(2) ابن نور الدين، مصابيح المغاني في حروف المعاني، ص: 84.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 534.

التَّعبيرُ بالخرورِ كنايةٌ عن غايةِ خوفِهم وخشيتِهم من الله

(يسجدون)؛ لاتّساع دلالة ﴿يَخِرُّونَ﴾؛ إذ إنَّها لا تقتصرُ على السُّجود فقط، وإنّما تشملُ معه الاضطرابَ والسُّقوط مع صوت، وهو أصلُ مادَّة (خ ر ر)[1]، ومن معاني خَرَّ: سَقَطَ، وهوى من علوٍ إلى سُفْلٍ، ووقع، وسجد، ومات[2]، وكذلك الشِدَّة، يُقال: خَرَّ الماءُ خرًّا إذا اشتدّ جريُه[3]، ومن معانيه أيضًا: الانخفاضُ عمّا حوله، يُقال: الخرير: المكانُ المُطْمَئِنُّ، أي المُنخفضُ بين الرَّبوتين[4]، ولهذا كان لفظ (الخرّ) هو الأنسبُ للسّياق، فقد ناسبَ الخرورُ خشوعهم، وما نطقتْ به ألسنتهم من صوتِ التَّسبيح، وصوتِ البكاء الذي غلبهم، كما أنَّ المقصود من ذِكْرِ هذا اللَّفظ مُسارعتهم إلى ذلك حتَّى أنَّهم يسقطون على الأرض في معرض السُّجود كالمغشي عليهم، فيكون قوله تعالى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ كنايةً عن غايةِ ولَهِهم وخوفهم وخشيتهم[5].

ويُلْمَح من فعل الخرور أيضًا معنى الانسيابيّة والاختيار، وهذا مِمّا يلزم عن الحبّ، فهم يسجدون طواعيَة من غير قَسْرٍ، فالخرور هَوْيُ الشَّيء بقوَّة وتدارك لتسيُّبِه أو تسيُّبِ أثنائه[6].

كما أنَّه لم يُعَبِّر بالسُّقوط، أي لم يقل: (يسقطون للأذقان سجدًا)؛ لعدم دلالتها على المعاني التي دلَّت عليها مُفردة ﴿يَخِرُّونَ﴾، ولِما في لفظ (يسقطون) من معنى لا يليقُ بحالِ الذين أوتوا العلم؛ وهو الرَّداءةُ والطرحُ وعدمُ الاعتدادِ بالشَّيء[7]، يُقال: رجل ساقط: أي لئيمٌ في حسبه ونفسه[8]، والسَّقْطَة: العثرة والزَّلَّة[9].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خرّ).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (خرر).
(3) الزبيدي، تاج العروس: (خرر).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خرر).
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 417 - 418.
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (خرّ).
(7) الراغب، المفردات، ص: 414.
(8) الجوهري، الصحاح: (سقط)، والمناوي، التوقيف على مهمات التعريف، ص: 195.
(9) الجوهري، الصحاح: (سقط).

إيثار التَّعبير بصيغة المُضارع في ﴿يَخِرُّونَ﴾:

استمرارِ وتجدّد هـذه الحـالـةِ منـهـم كـلـما سـمـعـوا آيـاتِ الـقـرآن تتلى عليهم

في إيثار التَّعبير بصيغة المُضارع ﴿يَخِرُّونَ﴾ إبرازٌ لمشهدٍ يُصَوِّرِ ما يلمسُ الوجدان، وهو مشهدِ الذين أوتوا العلم من قبله، وهم يسمعون القرآن، فيخشعون، ويضّطربون، ويهوون ويسقطون بقوّة وشدّة ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ إنّهم لا يتمالكون أنفسهم، فهم لا يسجدون فحسب، ولكن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾، كما تشيرُ إلى استمرارِ وتجدّد هذه الحالةِ منهم كلما سمعوا آياتِ القرآن تتلى عليهم.

دلالة اللّام في ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾:

شـدَّةُ خـضـوعٍ وخشوعٍ تتمثَّل في اخـتـصـاصِ وجـوهـهـم بالسُّجودِ لله

اللّام في قوله تعالى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ تحتمل وجهين:

الأوَّل: بمعنى حرفِ الاستعلاءِ (على)، وهو ظاهرُ المعنى يُقال: خَرَّ على وجْهِه، وعلى ذَقَنِه، وإنَّما عُبِّرَ باللّام فقال: ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾، ولم يقُلْ: (على الأذقانِ)؛ لأنَّ المعنى: أنَّه جَعَلَ ذَقَنَه ووجْهَه للخُرورِ، واختَصَّه به، فعُبِّرَ باللّام؛ لأنَّ اللّامَ للاختصاصِ[1]، فكأنَّهم خَصّوا أذقانهم بالخُرور، أو خَصّوا الخرور بالأذقان[2]؛ ولأنَّ العرب تقولُ إذا خرَّ الرَّجلُ فوقعَ على وجههِ خرَّ للذَّقَن[3].

وأصلُ هذه اللّام أنّها استعارةٌ تبعيَّة؛ اُستعيرَ حرف الاختصاص لمعنى الاستعلاء؛ للدَّلالة على مزيد التَّمكن كتمكُّن الشَّيء بما هو مُختصٌّ به[4].

الثّاني: اللّام على بابها مُتعلّقةٌ بـ ﴿يَخِرُّونَ﴾، ويكون بمعنى يُدْلون بأذقانهم[5].

---

(1) الزَّمخشري، الكشَّاف: 2/ 699، والبيضاوي: أنوار التَّنزيل: 3/ 270، وأبو حيَّان، البحر المحيط: 7/ 124، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 5/ 199، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 234.

(2) الهرري، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 16/ 253.

(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 418.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 234.

(5) الصاوي، حاشيته على تفسير الجلالين، ص: 1076.

مُـبـالـغـةٌ في سجودِ خضوعٍ وتـعـظـيـمٍ لله تُـرقّـيـهـم في مـدارجِ الـقـربِ ومعارجِ الكمال

نكتة إيثار لفظ الأذقان بدلًا من الوجوه:

قيَّد البيان القرآني الخُرورَ وهو السُّقوط بكونه للأذقان؛ أي: عليها؛ لأمور:

الأوَّل: لكون التَّعبير بالأذقان أنسبَ للسّياق الذي جمعَ بين السُّجود ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ وبين البكاء، وحال الخرور للأذقان ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾، ومعلوم أنّ دموعَ البكاء عند كثرتها تُخضِّل اللَّحْيَين، كما أنّ الخرورَ هو السُّقوط، "والإنسان إذا استولى عليه خوفُ الله تعالى فربَّما سقط على الأرض في معرضِ السُّجود كالمغشيِّ عليه، ومتى كان الأمرُ كذلك كان خروره على الذَّقَنِ في موضعِ السُّجود"[1]، فإنَّ الإنسانَ مجبولٌ بالطَّبعِ على صيانةِ وجهه، فهو يرفعُ رأسه فتصيرُ ذَقَنُه وفمه أقربُ ما في وجهه إلى الأرض حال السُّقوط[2].

الثّاني: لأنَّ المُرادَ تغفيرُ اللِّحيةِ في التُّراب، فإنَّ ذلك غايةُ الخضوع[3]؛ لأنَّ اللِّحية من كمالِ جمالِ الوجه[4]، أي عبَّر بالأذقانِ كنايةً عن اللِّحى، والإنسانُ إذا بالغَ عند السُّجود في الخضوعِ والخشوع ربَّما مسحَ لحيتهُ على التراب، فإنَّ اللِّحيةَ يبالَغُ في تنظيفها، فإذا عفّرها الإنسان بالتراب فقد أتى بغايةِ التَّعظيم لله والخضوع له[5].

الثّالث: لأنَّ الذَّقَنَ مُجتمَعُ اللَّحيَين، وعندما يبتدئ الإنسان بالخُرورِ للسُّجود، فأوَّل ما يُحاذي الأرض به من وجهه الذَّقَن[6]، قال ابن الأنباري: "أوَّلُ ما يلقى الأرضَ من الذي يَخِرُّ قبل أنْ يصوِّب جبهَتَه ذقَنُه، فلذلك قال: ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾[7].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 417.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 11/ 534.
(3) الهرري، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 16/ 253.
(4) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 8/ 4476.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 417.
(6) محمد الأمين الهرري، حدائق الروح والريحان: 16/ 253.
(7) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير: 3/ 59.

الرّابع: يجوز أنْ يكون المعنى: يَخِرّون للوجوه، فاكتفى بالذَّقَنِ من الوجه كما يُكتفى بالبعض من الكُلِّ، وبالنَّوع من الجنس[1]، للدَّلالة على تمكينهم الوجوهَ كلَّها من الأرض من قوَّة الرَّغبة في السُّجود؛ لِما فيه من استحضار الخضوعِ للّه تعالى[2]؛ للمُبالغةِ، وكأنَّه لِشِدَّة تحامله ألصقَ ذَقَنَهُ بالأرض[3].

نكتة استعمال جمع التَّكسير ﴿سُجَّدًا﴾:

﴿سُجَّدًا﴾ جمع ساجد، وهو جمع تكسير، يُعدُّ من جموعِ الكثرة، وهو ما يدلُّ على العدد من الثَّلاثة إلى ما لا نهاية، وقد ورد هذا الجمع في القرآن إحدى عشرة مرَّة في إحدى عشرة آية، ونكتةُ استعماله في قوله تعالى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ الإشارةُ إلى كثرةِ هؤلاء السَّاجدين الخاضعين للّه سبحانه الذين تفتّحتْ قلوبُهم العارفةُ بطبيعةِ القرآن وقيمته لاستقبالِ فيضه؛ بسبب ما أوتيتْ من العلم قبله.

في الجمع بيانٌ لكثرةِ من تفتّحت قلوبهم العارفةُ بطبيعةِ القرآن واستقبلت فيوضاته

نكتة التَّعبير عن سجودهم بالاسم ﴿سُجَّدًا﴾ دون الفعل:

عبَّر البيانُ القرآنيُّ في قوله تعالى: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ عن سجودِ الكَملَة الذين أوتوا العلم لَمّا تُلِيَ عليهم القرآن بالاسم ﴿سُجَّدًا﴾، ولم يقل: (إذا يتلى عليهم يسجدون)؛ للدَّلالةِ على الاستمرارِ والاستقرار[4]، وإشارةً إلى دوام ذلِّهم بالسُّجودِ المشروعِ، أو بمطلقِ الخضوعِ، وقيل: لأنَّ حالةَ السُّجودِ لمّا كانت لا تتجدَّدُ في كلِّ وقْتٍ عُبِّرَ عنها بالاسم.

دوامُ ذلِّهم بالسُّجودِ المشروعِ وبمطلقِ الخضوعِ يُنْطِقُ ألسنتهم بدوامِ التَّنزيه

فائدة تقييد قوله ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ بالحال ﴿سُجَّدًا﴾:

قيَّد البيان القرآنيُّ قوله ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ بالحال: ﴿سُجَّدًا﴾؛

سجودُهم لله هو سجودُ حقيقةٍ وإذعانٍ وخشيةٍ للرَّحمن

(1) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير: 3/ 59.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 234.
(3) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 67.
(4) السمين الحلبي، الدر المصون: 7/ 429.

لإفادة أنَّ سقوطَ الكَمَلَة الذين أوتوا العلم عندما تُتلى عليهم آيات القرآن، - والذي أشبهُ ما يكون بسقوطِ من ليس له اختيارٌ من شدَّة ما يحصل لهم من الخشوع - هو سقوطٌ ليس سقوطًا اضطراريًا من كلِّ جهة، أي يفعلون ذلك لِما يعلمون من حقيّته بما أوتوا من العلم السّالف، وما في قلوبهم من الإذعان والخشية للرَّحمان[1]، فسجودهم سجودُ تعظيمٍ لله عند مُشاهدةِ آيةٍ من دلائل علمه، وصِدْقِ رسله وتحقيق وعده[2].

فائدة الجملةِ الخبريّةِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾:

إخبارٌ فيه حثٌّ للمخاطب على اقتفاءِ آثار الكَمَلةِ الَّذين أوتوا العلمَ والمسير بهداهم

أفادتِ الجُملة الخبريَّة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا﴾ تعريفَ المُخاطَبين - وهم العرب المُشركون - بالحُكم الذي تضمَّنته، وهو مدحُ حالِ العُلماء الذين آتاهم الله العِلْمَ قبلَ البعث المُحمَّديِّ مع القرآن إذا يُتلى عليهم، ثُمَّ أفادتْ معنىً مُكمِّلًا لهذا المعنى، فإنَّها مع المدح والثَّناء على العُلماء - الذين ميَّزهم الله، وأخبر أنَّهم يعرفون الله ويتَّقونه، وأنَّهم أوَّلَ من شهدَ بالوحدانيَّة بعد الله وملائكته - فيها حثٌّ للمُخاطبِ على اقتفاءِ آثارهم، والمسير بهداهم في تقديسِ الله وطاعته، وتسبيحه والسُّجود له طائعًا مُنيبًا خاشِعًا.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإيمان والتَّصديق:

الإيمانُ هو تصديقٌ خاصٌّ معه أمنٌ وسكونٌ وطُمأنينةٌ وأمانةٌ

لم يُفرِّق اللُّغويّون بين الإيمان والتَّصديق، وجعلوهما مُترادفين، فعرَّفوا الإيمان بأنَّه التَّصديق[3]، يقول الأزهري: "اتّفق أهلُ العلم من

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 534.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 234.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (أمن)، (صدق).

اللُّغويّين وغيرهم أنّ الإيمان معناه التَّصديق"[1]، ويقول الزَّبيدي: "الإيمان: التَّصديقُ، وهو الَّذي جَزَمَ بِهِ الزَّمخشري في الأساسِ واتَّفَقَ عليه أَهْلُ العلْمِ مِن اللُّغَويّين وغيرِهم"[2].

إلّا أنَّه رغم هذا التَّقارب الكبير بَيْنَ لَفْظَيْ الإيمان والتَّصديق - والذي يكاد يكون ترادُفًا - إلّا أنَّ هُناك فروقًا دقيقةً بينهما، ومن هذه الفروق:

أوّلًا: أصلُ مادَّة (ص د ق) تَدُلُّ على قوَّة في الشَّيء قولًا وغيره، ومن ذلك الصِّدق: خلاف الكذب، سُمّيَ لِقوَّتِهِ في نَفْسِهِ؛ ولأنَّ الكَذِبَ لا قوَّةَ له فهو باطل[3]، في حين مادَّة (أ م ن) لها أصلان مُتقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضِدُّ الخيانة ومعناها سكون القلب، والآخر التَّصديق[4].

ثانيًا: الصِّدقُ يُقابلهُ الكذبُ، والإيمانُ يُقابلهُ الكفرُ[5].

ثالثًا: الإيمانُ في اللُّغة التَّصديق، وعند كثير من أهل العلم: اعتقادٌ بالجَنان وإقرارٌ باللِّسان وعملٌ بالأركان[6]، فهو في الشَّرعِ يُطلَق على ثَلاثَة أَشْياء: الإقْرار باللِّسانِ، والاعتقاد بالقَلْبِ - وهو طمأنينةُ النَّفس إِلَى صدقِ ما حصل الإقْرارُ بِهِ - والعَمَلُ بالأعضاء بِمُقْتَضى ما صدق بِهِ بإقراره واعتقده بِقَلْبِه[7].

رابعًا: الإيمانُ أَخَصُّ من التَّصديق؛ لأنَّ الإيمانَ تصديقٌ يُستعمل على نحوٍ مخصوص، فالمخبِرُ عن مشاهدة أو غيبٍ يُقال له صدقتَ، وأمّا لفظُ الإيمان فلا يُستعمل إلّا في الخبرِ عن غائب.

خامسًا: يقول العسكري: "أصلُ الإيمان السكونُ والطمأنينةُ، ومن أَمِنَكَ فقد سكنَ إليك ... ثم اسْتُعْمِلَ الإيمانُ بمعنى التصديق؛ لأنّك لا تصدّقُ الرجلَ إلا وقد سكنتَ إلى خبره"[8].

(1) الأزهري، تهذيب اللغة: باب النون والميم، (أمن).
(2) الزبيدي، تاج العروس: (أمن).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صدق).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أمن).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (أمن)، (صدق).
(6) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 1/ 124.
(7) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، ص: 418.
(8) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 53.

سادسًا: الإيمانُ هو التصديقُ الذي معه أَمنٌ[1]، والإيمانُ مُتضمِّن مع التَّصديق معنى الأمانة، يقول الأزهري: "والأَصْلُ في الإيمانِ الدُّخولُ في صِدْقِ الأمانَةِ الَّتي ائْتَمَنَه اللّه تعالَى عَلَيْها، فإذا اعْتَقَدَ التَّصْديقَ بقلْبِه كَما صدَّقَ بلِسانِه فقد أَدَّى الأَمانَةَ وهو مُؤْمنٌ، ومن لم يَعْتَقِدِ التَّصْديقَ بقلْبِه فَهو غيرُ مُؤَدّ للأَمانَةِ الَّتي ائْتَمَنَه اللّه عَلَيْها، وهو مُنافِقٌ، ومَن زَعَمَ أَنَّ الإيمانَ هو إظْهارُ القَوْل دونَ التَّصْديقِ بالقلْبِ فَهو لا يَخْلو مِن أَنْ يكونَ مُنافِقًا أَو جاهِلًا لا يَعْلم ما يقولُ أَو يُقالُ لَهُ"[2].

إذن: الإيمانُ هو تصديقٌ خاصّ معه أمنٌ وسكونٌ وطمأنينةٌ وأمانةٌ.

الإيتاء والإعطاء:

لا يكادُ اللُّغويون يفرِّقون بين الإيتاءِ والإعطاءِ؛ إذ يُعرِّفون الإيتاءَ بالإعطاءِ، ويستعملون أحدهما مكان الآخر، إلّا أنَّه عندَ إمعانِ النَّظرِ في معانيهما، واستعمال القرآن لهما يتبيَّن بعض الفروق الدَّقيقة بين اللَّفظين، وإيضاحُ ذلك أنَّ أصلَ الإيتاء يدلُّ على مَجيءِ الشَّيْءِ وإصْحابِهِ وطاعَتِهِ، والأَتْوُ: الاستقامةُ في السَّيرِ والسُّرْعةِ، والإيتاءُ: الإعْطاءُ[3]، واشتهرَ الإيتاءُ في معنى الإعطاءِ، وأصلهُ الإحْضارُ[4].

الإيتاءُ فيه قوَّة ويكون واجبًا وتفضّلًا، والإعطاءُ له مطاوعٌ ويدلُّ على التَّملُّك ولا يكون إلّا بمخْضِ التَّفَضّلِ

وأنَّ أصلَ الإعطاءِ يدلُّ على أخذٍ ومُناولةٍ، والعَطْوُ: التَّناولُ باليد، والمُعاطاةُ: المُناولةُ، والتَّعاطي: تناولُ ما ليس لهُ بحقٍّ، يُقال: فلانٌ يتعاطى ظلمَ فلانٍ[5].

ومن الفروق بين الإيتاء والإعطاء:

(1) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 1/ 124.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (أمن).
(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أتو).
(4) الزَّبيدي، تاج العروس: (أتى).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عطو).

أوّلًا: الإعطاءُ يكونُ في الأشياءِ المادّيَّة، إذ أصلهُ التَّناول، وفيه دليلٌ على التَّملُّك، في حين الإيتاءُ يكونُ في الأشياءِ الماديَّة والمعنويَّة.

ثانيًا: الإيتاءُ قد يكونُ واجبًا وقد يكونُ تَفَضّلًا، بخِلافِ الإعْطاءِ فإنَّه لا يكونُ إلاَّ بمحْضِ التَّفَضّلِ[1].

ثالثًا: الإيتاءُ أقوى من الإعطاءِ؛ لأنَّ الإعطاءَ له مُطاوِعٌ، يُقال: أعطاني فعَطَوتُ، ولا يُقال: أتاني فأتيتُ، وإنَّما يُقال: أتاني فأخذتُ، والفعلُ الذي له مُطاوع أضعفُ في إثباتِ مفعولهِ من الذي لا مُطاوعَ له[2]، لذلك استعملَ القرآنُ الإيتاءَ دون الإعطاءِ للأشياءِ العظيمة، مثل (الملك والحكمة والسَّبع المثاني والقرآن العظيم).

وقيل: الإعطاءُ أَقْوى من الإيتاءِ، ولذا خُصَّ في دفْعِ الصَّدَقاتِ الإيتاءُ؛ ليكونَ ذلك بسُهولَةٍ من غيرِ تَطَلّعٍ إلى ما يَدْفَعه، والكَوْثَرُ لمّا كانَ عَظيمًا شَأْنُهُ غيرُ داخِلٍ في حيطَةِ قدْرَةٍ بَشَريَّةٍ اسْتُعْمِلَ الإعْطاءُ فيه[3].

الإيتاءُ في أَكثر مَواضِع القُرْآن فيما لَهُ ثبات وقرار، كالحكمة والسَّبع المثاني، والمُلْك الَّذي لا يُؤْتى إلّا لذي قوَّة، والإعطاءُ: فيما ينْتَقل منه بعد قَضاء الحاجة منه كإعطاء كلِّ شَيْءٍ خلقه لتكرُّر حُدوث ذلك باعْتِبار الموجودات، وإعْطاء الكَوْثَر للانتقال مِنْهُ إِلَى ما هو أعظم مِنْهُ[4].

ونخلص إلى أنّ الإيتاءَ: يكون مع الأشياء الماديَّة والمعنويَّة، ولا يدلُّ على التَّملُّك، وغالبًا يكون للشَّيء العظيم، وفيه قوَّة فلا يتوقَّف على قبولٍ، وقد يكون واجبًا وقد يكون تَفَضُّلًا.

العلم والمعرفة:

العلمُ والمعرفةُ يشتركان في معنى الإدراك، وقد يُستعمل أحدهما مكان الآخر إذا كان العِلْمُ يتعدّى إلى مفعول واحد، حيث عرَّف بعضهم العلم بالمعرفة فقال: "عَلِمَه يَعْلَمُهُ عِلْمًا: عَرَفَهُ حقَّ المعرفة"[5].

(1) الزَّبيدي، تاج العروس: (عطو).
(2) الزَّركشي، البرهان في علوم القرآن: 4/ 85.
(3) الزَّبيدي، تاج العروس: (أتى).
(4) الكفوي، الكليات، ص: 212.
(5) الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 4/ 88.

العلمُ هو الإدراكُ التَّصديقيّ وهو أعلى درجةً من المعرفة، والمعرفةُ هي الإدراكُ التَّصوّريُ وهي أخصُّ من العلمِ

وإذا تعدَّى العِلمُ إلى مفعولين فإنَّه يُفرَّق بينه وبين المعرفة من عدَّة وجوه:

أوّلًا: العلمُ إدراكُ الشَّيء بحقيقته ودليله، أي: العلم بحقائق الأشياء، ولابدَّ في العلم من الدَّليل، فالعلمُ هو الإدراكُ التَّصديقي، في حين المعرفة: إدراكُ الشَّيء بتفكُّرٍ وتدبُّرٍ لأثره، أي: معرفةُ ذوات الأشياء والظّاهرِ منها، ولا تحتاجُ إلى دليلٍ، فالمعرفةُ هي الإدراك التَّصوُّري.

ثانيًا: المعرفةُ أخصُّ من العلم؛ لأنَّها عِلْمٌ بعينِ الشَّيءِ مُفصَّلًا عمّا سواه، بخلافِ العلم فإنَّه قد يتعلَّق بالشَّيءِ مُجملًا[1].

ثالثًا: المعرفةُ: تصوُّر صورة الشَّيءِ ومثالِه العلمي في النَّفس، والعلمُ: حضورُ أحوالهِ وصفاته ونسبتها إليه، فالمعرفةُ: نسبةُ التَّصوّر، والعلمُ: نسبةُ التَّصديق.

رابعًا: المعرفةُ في الغالبِ تكونُ لِما غابَ عن القلبِ بعد إدراكِه، فإذا أَدركه قيل: عَرَفَه، فالمعرفة نسبةُ الذِّكر النَّفسي، وهو حضور ما كان غائبًا عن الذّاكر، ولهذا كان ضدُّها الإنكار، وضدّ العلم الجهل[2].

فالعلمُ إذن أعلى درجةً من المعرفة، إذ تُستعمل المعرفةُ في العلم القاصرِ المتوصَّل به بتفكُّر، فالمعرفةُ يسبقها جهلٌ، أمّا العِلْمُ لا يسبقهُ جهلٌ، لذلك يُقال: اللّهُ عالمٌ، ولا يُقال: اللّهُ عارفٌ، كما أنَّ المعرفةَ يَضادُّها الإنكارُ، والعلمُ لا يَضادُّه الإنكارُ[3].

الخَرُّ والسُّقوطُ والوُقوعُ:

الخَرُّ اضطرابٌ وسقوطٌ مع صوتٍ وشدَّة، والسُّقوطُ طَرْحٌ ووقوعٌ شديد، والوقوعُ سقوطٌ مع ثُبوت

تتقاربُ هذه الألفاظ (يَخِرّون، يسقطون، يقعون) في دلالاتها اللُّغويَّة، وقد يُستعمل أحدها مكان الآخر، ويُعرَّف أحدها بالآخر، إلا أنّه رغم هذا التَّقارب فإنَّ لكلِّ لفظٍ من هذه الألفاظ ما يميِّزه، ويتَّضح ذلك من خلال الآتي:

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 80.
(2) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: 4/ 50 - 51.
(3) الزَّبيدي، تاج العروس: (علم).

أصلُ (خَرَّ) هو اضطرابٌ وسقوطٌ مع صوت، وخَرَّ: سقط[1]، وهَوى مِنْ عُلْوٍ إلى سُفْلٍ، وخَرَّ لِوجْهِهِ: وقع، وخَرَّ الماءُ خَرًّا إذا اشْتَدَّ جَرْيُه، وخرَّ: سجد، والخَرُّ: المَوْتُ[2].

وأصلُ (سَقَطَ) يدلُّ على الوقوع[3]، والسُّقوطُ: طرحُ الشَّيء، والوقوعُ من علوٍ إلى سُفْلٍ[4]، وكلُّ مَنْ وقَعَ في مَهْواةٍ يُقالُ: وقَعَ وسَقَطَ، والسَّقْطةُ: الوقْعةُ الشديدةُ[5]، والسَّقَطُ رَديءُ المَتاعِ والخَطأُ مِنَ القَوْلِ والفِعْلِ، والسّاقطُ: اللَّئيمُ في حسبهِ ونفسهِ، والسَّقْطَةُ: العَثْرَةُ والزَّلَّةُ[6].

وأصلُ (وقَعَ) يدلّ على سُقوطِ شَيْءٍ[7]، ووقعَ القولُ: وجبَ، ووقعَ الحقُّ: ثبتَ، ووقعَ الطيرُ: نزلَ، فالوُقوعُ: ثبوتُ الشَّيءِ وسقوطُهُ، وأكثرُ ما جاء في القرآن من لفظ (وقع) جاء في العذابِ والشَّدائد[8].

إذن: يتميَّزُ لفظ (الخَرّ) باتِّساع دلالته؛ إذ يدلُّ على سقوطٍ مع صوتٍ وشدَّةٍ، وهَوْيٍ من عُلُوٍّ إلى سُفْلٍ.

ويتميَّز لفظ (السُّقوط) بالطَّرحِ والوقوعِ الشَّديدِ من عُلْوٍّ إلى سُفْلٍ، وبإطلاقهِ على الرَّديء والخطأ والشَّيءِ غيرِ المُعتَدِّ به.

ويُتميَّز لفظُ (الوقوع) بالسُّقوطِ مع الثُّبوتِ، واستعمالهِ مع العذابِ والشَّدائدِ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خرّ).
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (خرر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (سقط).
(4) الرَّاغب، المُفردات، ص: 414، والسَّمين الحلبيُّ، عُمدة الحفَّاظ: 2/ 205.
(5) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (سقط).
(6) الجوهري، الصِّحاح، والفيومي، المصباح المنير: (سقط).
(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (وقع).
(8) الرَّاغب، المُفردات، ص: 880.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»